# التدخل في ليبيا هل يتحول فخا يكسر شوكة أردوغان

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

إعلان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مساء الأحد عن بدء إرسال جنوده إلى ليبيا لم يكن مفاجئا، كذلك ما صرح به أحد مسؤولي حكومة فايز السراج من أن التدخل التركي سيكون تدريجيا، بدا متوقعا، وبالمقابل يمكن إنهاء المعركة بسرعة قياسية، إذا وجد الجيش الوطني الليبي دعما سريعا ومباشرا من حلفائه، وخاصة العرب، لقطع الطريق أمام الأطماع التركية.

الحديث عن وصول قوات تركية بشكل تدريجي، يعني أن هناك صعوبات حقيقية في أن تصل تلك القوات في دفعات متلاحقة على متن سفن حربية. نظام أردوغان يحاول ألا يستفز أكثر مشاعر الليبيين بمشاهد وصول مسلحيه إلى موانئ طرابلس ومصراتة، وهم يرفعون علم بلادهم على أنغام "استقلال مارشي" أي نشيد استقلال تركيا، رغم أنه بات واضحا أن هناك من الليبيين من يرى الأتراك أقرب إليه من بني وطنه وجلدته، وهذه ظاهرة بدأت تتسع منذ سنوات، بعد أن تحول أردوغان إلى عماد مشروع الإخوان وخليفة الإسلاميين الذين لا يعترفون بالوطن ولا بسيادة الدولة.

إلى حد الآن على الأقل هناك ضباط وخبراء أتراك وصلوا ليبيا، وهم من يشرفون مباشرة على عناصر المرتزقة مما يسمى الجيش الوطني السوري، والذين بلغ عدد من وطأت أقدام ليبيا ألف مسلح، في حين ترجح المصادر التركية أن يصل عددهم إلى سبعة آلاف مسلح، من بينهم المئات من الإرهابيين المتورطين في جرائم حرب وخاصة ضد الأكراد السوريين وضد المدنيين العزل.

أما الحديث عن وصول وحدات عسكرية من الجيش التركي إلى مدن الساحل الغربي الليبي فليس هناك ما يؤيده إلى حد الآن على أرض الواقع، إلا إذا كانت تلك الوحدات قد وصلت إلى واحدة من دول الجوار لتتسلل لاحقا إلى داخل ليبيا مستفيدة من الفراغات الأمنية في المساحات الصحراوية الشاسعة، وهذا يبدو مستبعدا في ظل إدراك دول المنطقة لخطورة دعم التدخل التركي الذي يمثل عدوانا على الشعب الليبي تحت يافطة الانحياز لطرف سياسي وميليشياوي وأيديولوجي معزول في بلاده ومجتمعه.

ومهما يكن من أمر، فإن التدخل التركي حاصل، وأهدافه واضحة: السيطرة على ليبيا ومقدراتها، والتوسع على حسابها في الضفة الجنوبية للمتوسط، وفرض سياسة الأمر الواقع على الشعب الليبي بالتمكين لجماعة الإخوان المنبوذة، وقطع الطريق أمام الجيش الوطني في معركة التحرير والتطهير، ومنع ليبيا من أن تكون دولة مدنية وسطية ضمن محور الاعتدال العربي، والتأكيد على الانطلاقة الفعلية للمشروع الإمبراطوري العثماني الأردوغاني، حيث ولأول مرة منذ إعلان جمهوريتها عام 1923، لم يحدث أن أرسلت تركيا قوات إلى مهمة قتالية نحو بلد تفصلها عنه مساحة كالتي بينها وبين ليبيا، وكانت الحالة الوحيدة في يوليو 1974 عندما وجهت قوات لغزو قبرص التي لا تبعد عنها سوى 40 ميلا تقريبا، أما التدخل في العراق وسوريا فهو يتعلق بدولتين تشترك معهما في الحدود، وعادة ما يكون انطلاق قواتها إلى أراضيهما من قواعد متاخمة لهما.

لنقل إن التدخل التركي بات أمرا واقعا وهذا يعني أن أردوغان تحدى الجميع، ولكنه يدرك أن روسيا غير قادرة على مواجهته بسبب طبيعة العلاقات الإستراتيجية والحسابات البراغماتية بينه وبين الرئيس فلاديمير بوتين، العدو الذي ما من صداقته بدّ، والاتحاد الأوروبي سيكتفي بالتنديد بسبب أهمية تركيا كعضو في حلف شمال الأطلسي، والولايات المتحدة يستطيع أردوغان اليوم التعويل على صمتها، مقابل أن يكون وسيطا للتهدئة بينها وبين إيران، غير أن تلك القوى يمكن أن تدعم بشكل غير مباشر محور الاعتدال العربي في إسناده للجيش الوطني، ولو كان ذلك بالصمت على تمكينه من الأسلحة الحديثة ومن الخبرات الضرورية، وتوفير الإمكانات اللازمة لخوض معركة يمكن اعتبارها مصيرية ليس لليبيين فقط وإنما للعرب جميعا.

إن إيصال أي دعم عربي للجيش الوطني سيكون أيسر بكثير من إيصال الإمدادات للقوات التركية التي ستجد نفسها في مواجهة شعب مستعد للمنازلة التاريخية، وقطع الطريق على الدعم الموجه إلى ميليشيات حكومة السراج ممكن بقصف المنافذ الجوية والبحرية، كما أن جرّ الأتراك إلى حرب استنزاف في الجغرافيا الليبية الشاسعة سيطيح بأردوغان ونظامه بعد أن يثخن جراح اقتصاده المتعثر وصورته المهتزة.

في العام 2011 احتاج التحالف الدولي وعلى رأسه الناتو إلى 26 ألف طلعة جوية من بينها 10 آلاف طلعة قتالية والآلاف من المسلحين على الأرض وقوات خاصة من أكثر من 20 دولة، وفوق ذلك إلى ثمانية أشهر من المواجهة للإطاحة بنظام القذافي. اليوم يسيطر الجيش الوطني على مساحة أكبر مما كانت تحت سيطرة النظام في 2011، باعتبار أن المنطقة الشرقية كانت شبه منفصلة عن بقية المناطق، كما أن لديه قوة ضاربة من مختلف المدن والقبائل، وهناك إجماع من مختلف القوى الوطنية، باستثناء الإسلام السياسي وبعض القوى الجهوية الشوفينية، على مواجهة التدخل التركي، إضافة إلى أن لا عداء رسميا إقليميا أو دوليا للمشير خليفة حفتر اليوم كما كان للقذافي قبل تسع سنوات، ولا حمّى ربيع عربي تستطيع التلاعب بالحقيقة والواقع، لذلك فإن التدخل التركي سيتحول إلى فخ للإيقاع بأردوغان، وكسر شوكة أطماعه، ورده على عقابه خائبا، وفضح داعميه السريين والمعلنين، سواء في الداخل الليبي أو في خارجه، ثم الانطلاق في بناء ليبيا الجديدة بعد أن تزال عنها أدران الخيانة والعمالة والتبعية.

# الوساطة الأوروبية بين واشنطن وطهران

بهاء العوام
صحافي سوري

منذ وصل الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض والأوروبيون يحاولون إخماد الحرائق الأميركية التي يشعلها حول العالم. ليس حبا به ولكن تفاديا لألسنة اللهب التي يمكن أن تطالهم في عقر دارهم أو في مصالحهم خارج حدود القارة. هم يحاولون دون أن ينجحوا، ومع كل حريق جديد يشعله ترامب يزداد عجز الأوروبيين وتتسع الهوة بينهم وبين الولايات المتحدة.

آخر الحرائق كان قتل القائد الإيراني قاسم سليماني. يعرف الأوروبيون أن سليماني كان إرهابيا من الطراز الرفيع، ولكنهم يتخوفون من تداعيات قتله على أمن الشرق الأوسط وأمنهم. وسواء كبرت هذه التداعيات إلى حدود الحرب العالمية أو صغرت إلى مستوى العدم عسكريا، فإن الفعل الأميركي كان مربكا ومفاجئا للأوروبيين وكل حلفاء واشنطن بالمنطقة.

ربما يبالغ الأوروبيون في التخوف من ردة فعل الإيرانيين. ولكن ما تبوح به المعطيات حتى الآن يؤكد أن مقتل سليماني قد يعيد رسم خرائط الشرق الأوسط سياسيا وعسكريا. فالعملية جاءت على ما تبقى من دبلوماسية التواطؤ بين طهران وواشنطن من جهة، وبين الأوروبيين والإيرانيين من جهة أخرى. حان وقت تسمية الأشياء بمسمياتها وتبني المواقف الصعبة.

المواقف الأوروبية أصبحت أقرب إلى الأميركيين. اعترفت بريطانيا وفرنسا وألمانيا بأن سليماني كان يمثل تهديدا يفضل وأده، ولكنها أكدت في الوقت ذاته على أنها لا تريد نشوب حرب في المنطقة والعالم. تصدق هذه الدول ظاهريا على الأقل، رواية ترامب بقتله الجنرال الإيراني تجنبا للحرب وليس سعيا إليها، وتدعو طهران إلى التعقل في ردها العسكري.

تدرك إيران أن الأوروبيين لن يقفوا إلى جانبها ضد الولايات المتحدة. اختبرتهم في الاتفاق النووي وعرفت أن الرهان عليهم خاسر طالما بقي ترامب في السلطة. أول شيء فعلته أنها تراجعت عن التزاماتها النووية إلى حدود تبدو فيها في حلّ من الاتفاق النووي عام 2015، ثم اختارت مواجهة طويلة الأجل مع واشنطن عنوانها إخراج القوات الأجنبية من الشرق الأوسط.

ثمة الكثير مما يقلق الأوروبيين في المواجهة بين إيران والولايات المتحدة. هي ليست حربا تقليدية، وإنما حرب الأنفاس الطويلة التي تحمل المفاجآت. لا سلم بعد اليوم بين الطرفين وللمواجهة جبهات عديدة وأشكال كثيرة.

أكثر ما يخشاه الأوروبيون في الحرب المبهمة القادمة بين الإيرانيين والأميركيين، هو انجرارهم إلى مواجهة عسكرية لا يريدونها. كذلك يخشون أن تزيد هذه الحرب من تبعيتهم للولايات المتحدة، فيتحولوا إلى مجرد دمى خشبية تمارس وهم السيادة في العلاقات الخارجية. توجد لديهم بدائل عن ذلك ولكن جميعها يعني تضعضع التحالف بين بروكسل وواشنطن.

ترغب دول أوروبية مثل فرنسا وألمانيا باستقلالية كافية في قراراتها عن الولايات المتحدة، أو على الأقل العودة إلى تلك التكاملية التي كان يعيشها الأوروبيون والأميركيون قبل عهد ترامب. لا يبدو أن الخيارين متاحان ما دام ترامب يقطن البيت الأبيض. وبالتالي لا سبيل أمام الاتحاد الأوروبي إلا لعب دور الوسيط الذي يخشى قطع رأسه. في التوتر بين واشنطن وطهران ما يتفاداه الأوروبيون أيضا. هناك بين المسلمين في دول أوروبا من يعتقد أن الولايات المتحدة بقتلها سليماني ومحاصرتها لإيران اقتصاديا، وتصنيف أذرعها الخارجية على قوائم الإرهاب، إنما تشن حربا شاملة على الشيعة في العالم. قد يبدو الأمر غير ملحوظ اليوم ولكنه يستحق الانتباه وتجنب التورط فيه على المدى الطويل.

يبدو هذا الاعتقاد واضحا من خلال الاستماع لبعض البرامج الإذاعية البريطانية التي اهتمت برأي الناس حول اغتيال سليماني. لا تريد الحكومات الأوروبية أن تتورط في مثل هذه الحرب بشكل أو بآخر. فذلك ينعكس على استقرارها الداخلي ويضعف من مصداقية وساطة تعتزم باريس ولندن وبرلين خوضها وفق بيان مشترك صدر عنها مؤخرا.

إحلال السلام في الشرق الأوسط بات مهمة صعبة. هناك من ينتظر قشة تنقذه من الحرب، وهناك من بدأ العد التنازلي لساعة الصفر في جهاد مزعوم وقوده الأبرياء. إن كان ترامب قد أمر بقتل سليماني لمنع الحرب وليس إشعالها كما يقول، فسيدعم الوساطة الأوروبية بين بلاده والإيرانيين. فربما تكون هي الوساطة الأخيرة بين الطرفين، وكلاهما يحتاجها بذات القدر والسرعة.

يرغب ترامب في التفاوض مع إيران لأسباب انتخابية، وتريد إيران التفاوض هربا من أوضاع اقتصادية خانقة. فإذا ما تم احتواء تداعيات مقتل سليماني بطريقة أو بأخرى، تصبح الظروف شبيهة بتلك التي جمعت واشنطن وطهران نهاية ولاية باراك أوباما الأولى.

نجاح الأوروبيين يحتاج أولا إطفاء الحريق الذي أشعله ترامب بقتل سليماني. وهذا يعتمد على عاملين، الأول نوع الرد الذي ستختاره إيران، والثاني احتواء واشنطن للرد وعدم التصعيد بعملية تدخل العالم في دوامة الفعل ورد الفعل. فتأتي مرة من ترامب وأخرى من خامنئي، وهكذا حتى يأتي يوم تخرج فيها الحسابات من عقالها وتقع الكارثة.

# إيران وحزب الله وأضعف الإيمان

علي الأمين
كاتب لبناني

تفادى الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله توجيه أي رسالة تهديد غير اعتيادية لـ"الشيطان الأكبر" كرد على عملية اغتيال قاسم سليماني. ففي الخطاب الذي ألقاه في احتفال أعدّ للمناسبة، بقي نصرالله ضمن الحدود التي اعتاد اعتمادها في خطابه قبل حدث الاغتيال الذي شهدته بغداد فجر الجمعة، وإذ كان أشار إلى تهديد مباشر للجيش الأميركي، فهو إلى كونه تهديدا تقليديا لمن يصفه بجيش عدو، أحال إلى القيادة الإيرانية عملية الرد على اغتيال سليماني.

**العراق ساحة المواجهة التي تدرك إيران أنها أساس في الهلال الشيعي، وبالتالي تسعى إلى استثمار اغتيال سليماني بما يزيل الكوابيس التي أطلقتها الانتفاضة العراقية تجاه إيران**

وفيما تفادى توجيه أي تهديد يمكن أن يُسجّل في خانة الموقف المستجد له من الناحية الأمنية أو العسكرية تجاه أميركا أو إسرائيل، أعفى القيادة الإيرانية وعلى رأسها الولي الفقيه وقائد المحور الذي ينتسب له نصرالله، من أي مسؤولية تجاه أي عملية قد يقوم بها أحد أطراف المحور، مشيرا إلى أن إيران تركت لهم حرية تقدير الموقف دون أن تطلب أو تفرض عليهم القيام برد.

الخطاب الذي ألقاه نصرالله، رغم محاولات تحميله من مؤيديه أو بعض خصومه أبعادا إستراتيجية تجاه واشنطن، إلا أن واقع الحال يقول إن نصرالله الذي أجّل كلمة كان سُرِّب للإعلام من قبل حزبه بأنه سيلقيها يوم الجمعة، أي غداة اغتيال سليماني، إلى يومين أي الأحد الماضي، كشف أنه لم يكن لديه ما يقوله أو يفعله كرد يترقبه أنصاره على هذه العملية.

غير أن تفادي نصرالله القيام بأي رد أو خطوة عسكرية ضد ما اعتبره جريمة أميركية، عُوّض عن ذلك بالقول إن حذاء سليماني أهم من رأس الرئيس الأميركي وكل المسؤولين الأميركيين، وبذلك أشبع إلى حدّ ما غريزة الانتقام ولو لفظيا. ما يمكن أن يُشار إليه بعد هدوء نصرالله تجاه الرد العسكري، أنه كان يدرك أن المواجهة التي اختارها الأميركيون هي في العراق، وشدد على ذلك في تفسير معنى المكان الذي جرى فيه الاغتيال، لذا كان يطالب الحكومة العراقية والبرلمان بالرد على الاغتيال بإعلان البراءة من الوجود الأميركي وهو ما سماه "أضعف الإيمان".

العراق ساحة المواجهة التي تدرك إيران أنها أساس في الهلال الشيعي، وبالتالي تسعى إيران لاستثمار اغتيال سليماني بما يزيل الكوابيس التي أطلقتها الانتفاضة العراقية تجاه إيران، إذ أن شعار "إيران برا برا" هو الشعار الذي صدح به المنتفضون في مدن العراق ولاسيما ذات الرمزية الشيعية، ومشهد حرق القنصليات الإيرانية هو العنوان الذي وسم هذه الانتفاضة التي زعزعت النفوذ الإيراني وهددت وجوده. ما تريده إيران هو طي هذه الصفحة وإلغائها من الوجود، وهو أقصى ما تطمح إليه في تحقيقه وتريد لاغتيال سليماني أن يكون وسيلة لقلب المشهد من عراقيين يطالبون بإخراج إيران، إلى مشهد عراقيين يطالبون بإخراج القوات الأميركية.

الرد الإيراني على عملية الاغتيال، يندرج في سياق أن الرد الفعلي سيؤدي إلى حرب لا تريدها إيران، وعدم الرد هو هزيمة معنوية لن يتحملها النظام الإيراني، وبالتالي فإن الحسابات الإيرانية تنطوي على مخاطر لكونها تتصل بهيبة أميركا ومصالحها من جهة، وبحرص إيراني على الاستفادة من الانقسام الأميركي الداخلي وبرغبة إيران في استخدام الرد في منع وصول ترامب إلى الرئاسة مجددا من جهة ثانية.

فيما يشكل تمدد إيران ونفوذها حجر الرحى في الحسابات الإستراتيجية، وبالتالي فإن الرد يجب ألا يخل بهذا المسار الذي تحاول إيران من خلاله أن تفرض في معادلة الصراع القائمة في المنطقة مقولة أن لا وجود في المنطقة إلا لمشروعين، واحد أميركي إسرائيلي والثاني تقوده إيران، وعلى الجميع في المنطقة إما أن يكونوا مع مشروع إيران أو كما سماه مشروع الحرية والسيادة والاستقلال، أو مع المشروع الأميركي.

وهو في ذلك، كما إيران، يمهد لإنهاء مشهد الانتفاضة في العراق وفي لبنان، انطلاقا من أن المعركة الوجودية أمام الخطر الأميركي والإسرائيلي تتطلب إزاحة كل العناوين السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية جانبا، والاصطفاف لمواجهة الهيمنة الأميركية.

هذه حسابات طهران، يبقى أن الدول التي تشكل المحور الإيراني باتت في وضعية يصعب أن تستجيب لهذا المطلب وسط حال من التحلل السياسي والاقتصادي بات فيه الحديث عن وجود دولة سواء في لبنان أو العراق صعبا إلا إذا أضيف على توصيف دولة كلمة معبرة، لتصبح دولة فاشلة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk